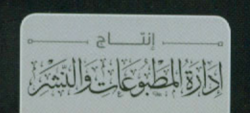


في الظلمة وحدي!



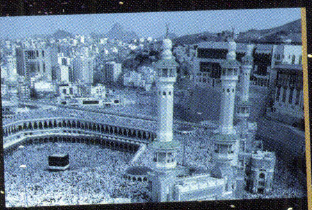
بسم الله الرحمن الرحيم



أين ابتسامتك الحنون؟



جئتَ بغير وجهك المعهود!



أثناء شرب القهوة



في الظلمة وحدي!



أين ابتسامتك الحنون؟

دخل البيت واجماً ذاهلاً ولم يسلّم.. ترك الباب مفتوحاً ونسي أن يغلقه من ورائه.. توجه مباشرة إلى غرفة نومه صامتاً لا يتكلم.. لم يكن من عادته أن يتجاهل من وراء الباب حين يدخل بيته إلا اليوم!

قلقت عليه وتوجّست في نفسها خيفة.. همّت أن تلحق به لتسأله عما أهمّه ؛ ولكنها توقفت لحظة وهي تقول في نفسها: لعله في حاجة لأن أتركه مع نفسه يفكر فيما أهمّه، ويجب عليّ أن أتصرف بحكمة..

دخلت عليه الغرفة بكأس ماء بارد.. ألقت عليه التحية بصوت هامس.. وضعت الكأس على الطاولة بهدوء وهي تتبسّم في وجهه، وسحبت نفسها بهدوء..

ظل لفترة طويلة حبيس غرفته بل طريحاً على سريره لا يقوم ولا يتحرك.. عيناه مسمّرتان في سقف الغرفة وهو يردد في نفسه بين حين وآخر: كل هذا في الدنيا مع بشر ضعيف عاجز مثلي ؛ فكيف في الآخرة مع رب العالمين، مالكِ يوم الدين، خالقِ السماوات والأرضين؟!

عادت إليه من جديد بوجه باسم تستأذنه في الجلوس إلى



كل هذا في الدنيا مع بشر ضعيف عاجز مثلي ؛ فكيف في الآخرة مع رب العالمين، مالكِ يوم الدين، خالقِ السماوات والأرضين؟!

جواره ففعل..

سألته باهتمام: أهناك ما يهمّك؟

نعم..

هل تسمح لي بالمشاركة معك؟

أجل..

حدثني إذاً..

فانطلق يحدثها وكأن عُقدة من لسانه قد حُلّت:

ما أصعبه من يوم وأشده من حساب ! كشف مدير الشركة بجهده الشخصي اختلالاً كبيراً في الحسابات المالية للشهرين الماضيين، واستدعى فوراً جميع موظفيه في الإدارة المالية، وأخضعهم لتحقيق صارم دقيق امتد لخمس ساعات متواصلة ؛ كلاً على حدة.. حتى جاء دوري، وكنت أحد المشكوك فيهم بقوة ! وأخذ يسألني عن كل لحظة قضيتها في الشركة منذ

بدأت العمل فيها، وعن كل معاملة تولّيت القيام بها منذ تعيّنت فيها، وعن كل مكالمة تلقيتها أو قمت بها، وعن.. وعن.. إلخ. وجعلت أتعرّق كثيراً خلال التحقيق، وتيبّس لساني، وجفّ حلقي، وتسارعت نبضات قلبي، وارتعدت فرائصي، وأكذب لو ادعيت أن الخوف لم يسيطر خلال التحقيق على كل كياني!

والنتيجة؟!

الحمد لله الذي أظهر الحق وكشف الفاعل الحقيقي للمدير العام، وبرّأ ساحتي وأطلق سراحي، وانطلقت عائداً إلى البيت لا ألوي على شيء..

الحمد لله أبا سعيد، حفظك الله لنا، ولا أرانا فيك مكروهاً.

آمين. وإني..

عفواً أبا سعيد، قم لتدرك العصر، فقد أوشك أن تقوم الصلاة!

تنبّه إلى أنه مازال بسريره على هيئته التي كان عليها منذ دخل الغرفة، وانتبه إلى أن عصفوره الصغير «سعيد» نائم على سريره الصغير قريباً منه: بماذا تحلم يا صغيري؟ ليتني مثلك يا عصفوري.. أغطّ



بهدوء في نومي.. سارحاً بكل لذة في أحلامي!

نهض يقبله على جبينه قبلة وادعة حانية لا يقبّل مثلها إلا الآباء الواهون، ثم مضى خارجاً إلى الصلاة مسرع الخطى ومازال يردد في نفسه: كل هذا في الدنيا مع بشر ضعيف عاجز مثلي؛ فكيف في الآخرة مع رب العالمين، وملك الملوك ذي الجبروت والملكوت؟! ومن نوقش الحساب عذِّب! رباه سترك! اللهم عفوك ورضاك.. هل يا ترى من عمل صالح نعمله في ديننا، ندخل به الجنة بغير حساب ولا عذاب من ربنا؟!

حين سلّم الإمام من صلاته وفرغ أبو سعيد من أذكاره تناول منشوراً صغيراً موضوعاً إلى

جوار المصحف في المسجد وأخذ يقرأ:

قال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} في هذه الآية وصف الله سبحانه وتعالى خليله إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. وقد أمرنا الله بالاقتداء به في قوله: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، وكل من وفّق لذلك واقتدى به وحقّق التوحيد وخلّصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي فقد اصطفاه الله لأن يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب إن شاء الله..

وتساءل أبو سعيد في سره بحيرة: ولكن كيف يحقق التوحيد؟! واستأنف يقرأ:

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عرضت



عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، أي: الجماعة دون العشرة، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد؛ إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض رسول الله فدخل منزله، فتكلم الصحابة في أولئك السبعين ألفا فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أسبابا أخرى، فخرج رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». (متفق عليه)

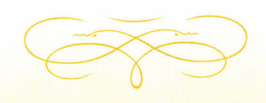
وتساءل أبو سعيد في سره من جديد: ما معنى لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ؟! وكان على علاقة طيبة مع الإمام فتوجه إليه ولحق به ولم يتردد أن يسأله عن ذلك، فقال له الإمام:

هل يا ترى من عمل صالح نعمله في ديننا، ندخل به الجنة بغير حساب ولا عذاب من ربنا؟!

لا يسترقون أي: لا يطلبون من يرقيهم استغناء عن الناس رغم جواز طلب الرقية، ولا يكتوون أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم بالنار رغم جواز العلاج بالكي، ولا يتطيرون أي: لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، وعلى ربهم يتوكلون أي: يعتمدون في جميع أمورهم عليه لا على غيره ويفوضون أمورهم إليه. وهم بهذا حققوا التوحيد بل ترقّوا إلى كمال التوحيد بترك الأمور المكروهة مع الحاجة إليها، فاستحقوا بذلك أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب!

وهنا انطلقت من فم أبي سعيد تسبيحات فرح وابتهاج بغير شعور منه: سبحان الله.. سبحان الله، والإمام يردد من ورائه مثله: سبحان الله.. سبحان الله، وشكر الإمامَ وحياه وانصرف.

ثم انطلق أبوسعيد كأنما نشط من عقال وقد سُرِّي عنه ما أهمّه، وتوجه عائداً إلى بيته وهو يحس لذعة الجوع في جوفه، وتذكر أنه لم يتناول غداءه بعد. والأهم من ذلك أن أم سعيد لم تحظ منه اليوم بكلمات رقيقة كعادته كل يوم حين يعود من عمله هاشّاً باشّاً، تسبقه إليها ابتسامته الحنون، وجعل يبحث في نفسه عن كلمات يبادرها بها إذا دخل عليها ورآها تنتظره جاهزة بسفرة الطعام.

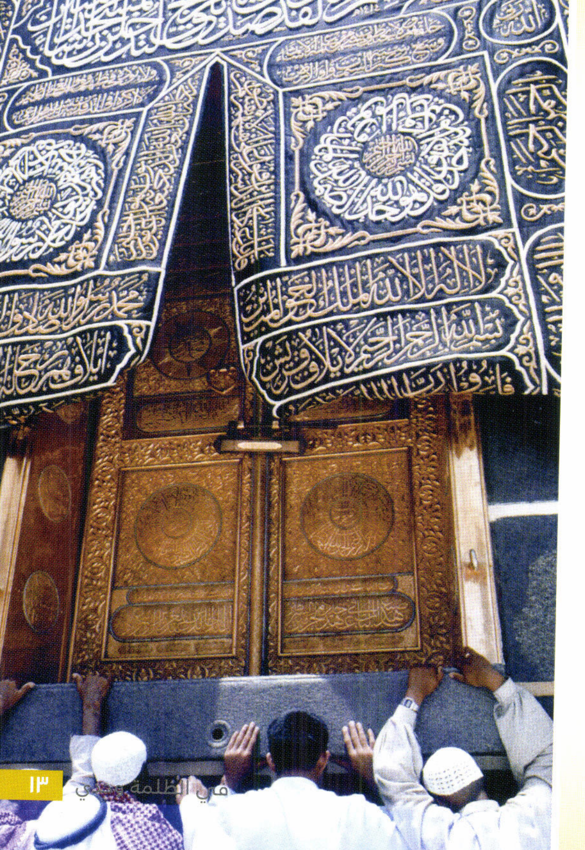



جئتَ بغير
وجهك المعهود!

زفر زفرة طويلة.. خرجت معها آهة حزينة.. وارتمى بكل جسده على كرسيِّ مكتبه وهو يحدث نفسه: ما دخل المكتب يوماً إلا وتسبقه ابتسامة مشرقة بكل عفوية ! لماذا لا أكون مثله؟ ما الذي ينقصني؟ بيت واسع.. وزوجة صالحة.. ووظيفة مرموقة.. وسيارة فارهة.. ومع ذلك أحس بأني أقل سعادة منه.. هل يملك فوق ما أملك؟ لا أظن.. أعرفه من أيام الدراسة.. كان يتعثر أحياناً في دفع الرسوم الجامعية.. ولولا تفوقه في الدراسة لربما اضطر إلى الانقطاع عن دراسته.. ولكن من أين يأتي بهذه السعادة التي تبدو على محياه.. هدوء واطمئنان.. وراحة بال.. وثقة بالنفس عظيمة.. لماذا يدفعني إلى التفكير فيه والتأمل في حاله؟ لماذا أغبطه على وضعه النفسي بدل أن يغبطني على حالتي المادية؟ ولماذا لا أسأله مباشرة وأعفي نفسي من عناء التفكير؟

هاهو الآن يدخل..

من أين يأتي بهذه السعادة التي تبدو على محياه.. هدوء واطمئنان.. وراحة بال.. وثقة بالنفس عظيمة..



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وعليكم السلام.. أهلاً يا وليد..

أكمل رد السلام يا أخي: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)..

حسنا، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم سأل: ما لك اليوم لا تبدو باسماً سعيداً كعادتك يا وليد؟

إذن فقد صدق الحارس وموظف الاستقبال!

ماذا قالوا؟

ما قلت آنفاً.. لحظة من فضلك سلطان..

سأعدّ كوبين من الشاي..

بل تجلس أنت مرتاحاً وأذهب أنا لأصنع الشاي..

وينطلق سلطان مسرعاً إلى المطبخ بكل خفة يفكر فيما ألمّ بصاحبه.. يشتهي أن يسمع منه سبب ما رآه اليوم من تغير على وجهه أثار فضوله وفتح شهيته لأن يسأل ويعرف.. يصب الماء الساخن في الأكواب.. يغمر كيس الشاي في الماء.. يضع ملعقة السكر ويحركها.. يسرع بالأكواب عائداً إلى صاحبه ؛ فإذا هو قائم يصلي!

أي صلاة هذه في هذا الوقت؟ ويحتسي الشاي بهدوء متأمّلاً في صلاة صاحبه.. ركعتان خفيفتان لم يطل فيهما كثيراً، ولكنه أدّاهما باطمئنان وخشوع ظاهرين..

ويعود وليد إلى كرسيه وقد ذهب عنه ما كان يجد،



وعادت إليه ابتسامته المشرقة، وتناول كوبه شاكراً.

وسأله سلطان: ما أعجب أمرك اليوم يا وليد!

جئت بغير الوجه الذي أراك به الآن.. خيراً؟

كنت أتدبر فيما ورد من نصوص شرعية حول خطورة الشرك على بني آدم..

ما لنا وللشرك؟ ألسنا بحمد لله مسلمين موحدين؟

ولكن المسلم الصادق يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك!

كيف وقد عرف الحق والتوحيد؟ ربما تغلبه نفسه وشهوته ويقع في الذنوب والمعاصي؛ أما الشرك فلا أظن..

ولكن الخليل إبراهيم عليه السلام خاف على نفسه وبنيه من الشرك وهو أبو الأنبياء! أتدري لماذا؟

تساءل سلطان بحيرة واندهاش: لماذا؟

ما لنا وللشرك؟ ألسنا بحمد لله مسلمين موحدين؟ ولكن المسلم الصادق يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك!

فأجابه وليد:

لأن الله تعالى يقول: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، ويقول عليه الصلاة والسلام: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء». (رواه أحمد، وهو في السلسلة الصحيحة حديث رقم ٩٥١، ٢/ ٦٣٤). ومن هنا وجب على المؤمن أن يخاف على نفسه من الشرك ويحذره أشد الحذر، ويستعين بالله في اجتنابه كما فعل إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه قائلاً: (واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام)؛ لأن الفتنة بالشرك وعبادةِ الأصنام عظيمة، ولا يأمن الوقوع فيها إلا من رحم ربك؛ فإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام وهو إمام الحنفاء الذي كسر الأصنام بيده؛ فكيف بمن دونه؟

صدقت يا وليد، وجزاك الله عني خيراً، فقد أنرت بصيرتي، وكنت

أغبطك اليوم قبل أن تأتي على ما أنت فيه من طمأنينة وسعادة، وهدوء وراحة بال، وما كنت أظن أنّ مثلَك يصيبه الخوف والقلق من شيء مهما كان.

صحيح أن المؤمن التقي الملتزم بأمر ربه يجد الراحة في نفسه، ويعيش الأمان في داخله مهما واجه من صعوبات، وتعرض للابتلاءات إلى أن يلقى الله ربه ؛ ولكنه يخشى على نفسه من الوقوع في الشرك ليبقى حذراً متيقظاً طوال حياته. ولنعد الآن إلى العمل يا سلطان ؛ علّنا أن نتم حديثنا بعد الدوام..

أحسنت، فإن وقتنا خلال الدوام ليس ملكاً لنا، وإنا لمحاسبون عليه إن لم نصرفه فيما وُسِّد إلينا..

كما أنت محاسب الآن يا سلطان على إشغالي بالحديث معك عن الشاي حتى برد !!

وانفجر الصديقان يتضاحكان، يلمع في أعينهما بريق السرور بالمودة الصافية!

وقطع سلطان ضحكته فجأة ليسأل صاحبه باهتمام:

- سؤال أخير يا وليد: ما هذه الصلاة التي رأيتك تصليها وأنا عائد إليك بالشاي؟

- هي الصلاة التي كان رسول الله ﷺ يصليها ويفزع إليها حين يهمّه أو يقلقه أمر من الأمور، ليجد الأنس والراحة بربه في صلاته عما يقلقه أو يهمّه شيء من أمر الدين والدنيا.

- شكرا وليد، هيا إلى العمل..

- هيا إذاً..



قال تعالى:

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

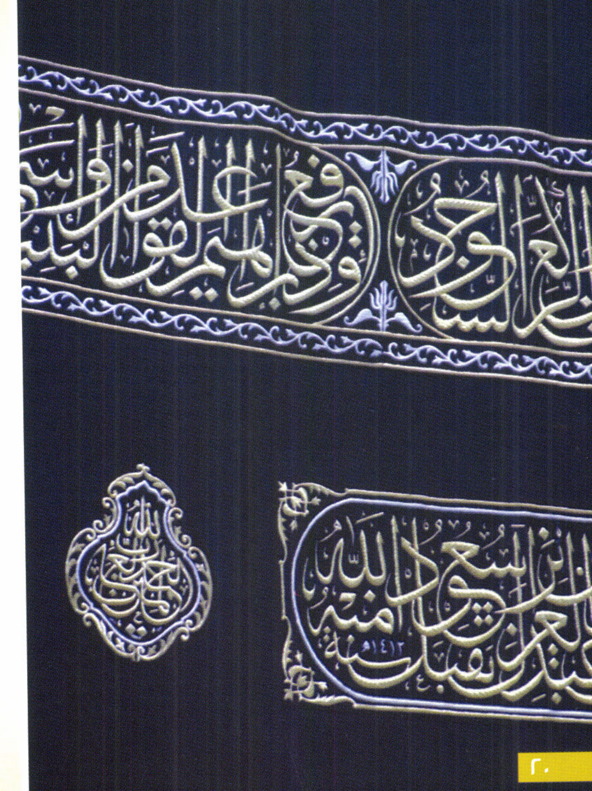

أثناء
شرب القهوة!

قال أبو راشد لابنه بنبرات حزينة تشيع الأسى في كلماته وهو يتملَّى إلى المنائر العالية للمسجد الحرام:

- بقدر ما يسرني أن أزور مكة والمدينة وأدخل الحرمين الشريفين يسوؤني بعض ما أجد فيها ويؤذيني أيضاً بعض الشيء!

- معاذ الله كيف تقول هذا يا أبي؟!

اعتاد أبو راشد أن يزور مكة والمدينة في كل عام مرة أو مرتين مع زوجه وأولاده أو بعض أقاربه، ولا يكاد يتخلَّف عن هذه الزيارات إلا إذا تعذّرت عليه مع ضغط الأعمال والواجبات، وكلما قدم ونزل بإحدى المدينتين المقدستين



أحب أن يمكث بها بضعة أيام وليال، وحرص على حضور مجالس الخير والاستفادة من حلقات العلم التي تُعقد بين جنبات الحرمين الشريفين.. وهكذا زيارة بعد زيارة، وسنة بعد سنة أصبح يتعلم الكثير، وصار يعرف أشياء وأحكاماً من الدين ما كان يتصور أنه سوف يتعلّمها ويعلّمها غيرَه من أهل بيته وذوي قرابته وأصدقائه ومعارفه.

وخلال زيارته الأخيرة للمسجد الحرام أصرّ أن لا يرافقه فيها إلا ابنه راشد؛ لتكون فرصة للحديث معه على انفراد، خصوصاً وأن ابنه راشد يجاريه في هذه الرغبة، ويبدي حماسته للتعلم من أبيه بالسؤال والمناقشة..

تعجّب راشد أن يسمع من أبيه ما قال آنفاً، وظهرت الدهشة على محيّاه وهو يستنكر على أبيه أن تسوءه وتؤذيه زياراته التي يحرص عليها للحرمين الشريفين..

أراد الأب أن يوضّح لابنه ما قصد فقال وهو يرتشف القهوة على مهل:

- معاذ الله يا بني أن يكره المسلم -صادق الإيمان- زيارة هذه البقاع

بقدر ما يسرني أن أزور مكة والمدينة وأدخل الحرمين الشريفين يسوؤني بعض ما أجد فيها ويؤذيني أيضاً بعض الشيء!

الطاهرة، إنما قصدت يا بُني هذه المظاهر البدعية والشِركية التي نراها هنا في المسجد الحرام من بعض الزوّار من عوامّ المسلمين- هداهم الله - وفي أماكن متفرِقة من مكة المدينة!

- مثل ماذا يا أبي؟

سأل راشد أباه متحفِّزاً لأن يتعلم؛ فرد عليه أبوه قائلاً:

مثل الذي نراه عند الكعبة وعند «مقام إبراهيم» وغيره من التمسُّح والتخشُّع بقصد التبرّك واجتلاب الخير واعتقاد النفع والضر فيها ومن ذاتها!

- وماذا في ذلك يا أبي؟ أليست هذه أماكن ومواضع مقدسة؟

- هي شعائر ومقدسات أرادها الله تعالى مواضع للعبادة وفق ما شرع سبحانه، لا لتقديسها والتبرك بها واعتقاد النفع والضر فيها.. والإنسان قد يستحسن شيئاً يظنه يقربه إلى الله تعالى وهو يبعده عنه، كما كان المشركون يفعلون في الجاهلية، فإنهم كانوا يقرّون لله بأنه خالقهم ولكنهم كانوا

شعائر ومقدسات أرادها الله تعالى مواضع للعبادة وفق ما شرع سبحانه، لا لتقديسها والتبرك بها واعتقاد النفع والضر فيها..



يشركون معه غيره في العبادة حين كانوا يتبركون ببعض الأحجار والأشجار في بعض المواطن قائلين كما أخبر الله عنهم في القرآن الكريم: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»..

وهنا علق راشد على كلام أبيه قائلاً وهو يصبّ له القهوة:

- معنى ذلك يا أبي أن هؤلاء الزوار الذين يرتكبون مثل هذه الأخطاء يقعون في الشرك وهم لا يشعرون مع أنهم أرادوا تحقيق الإيمان حين قصدوا المسجد الحرام!

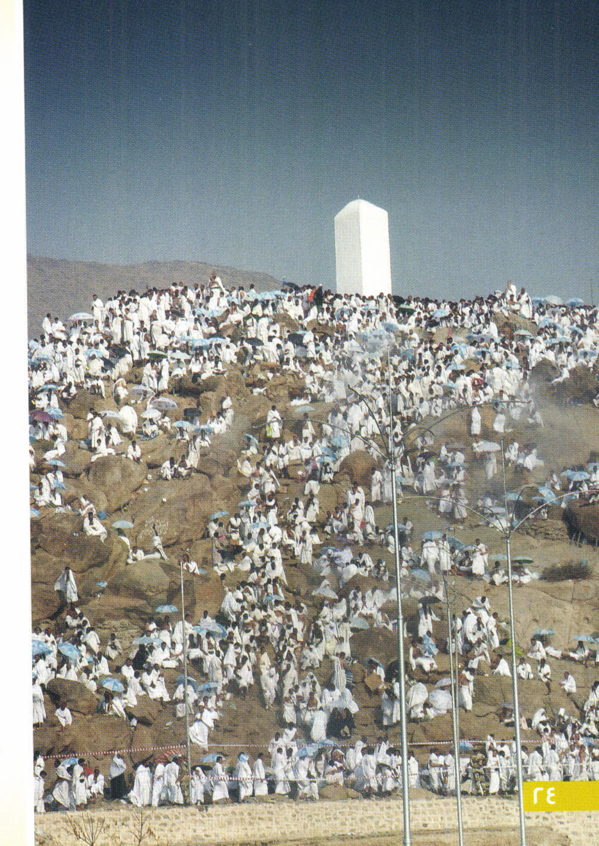
- أحسنت يا راشد.. قد يقع المسلم في الشرك في أطهر بقعة على وجه الأرض، وهو يظن أنه إنما جاء هنا ليصفو له دينه وتوحيده وعقيدته، فإذا به يشرك سواءً شركاً أصغر

حين يعتقد أن ما يتبرك به مجرّدُ سبب، أو شركاً أكبر عياذاً بالله إذا اعتقد فيه النفع والضر..

– فعلاً يا أبي، يجب أن يتعلم المسلم ويبذل وسعه في تعلم ما يحمي دينه من الوقوع في هذه المزالق.

– صدقت يا راشد، وهذا ما يتحقّق للمسلم حين يقصد مكة المكرمة ويدخل المسجد الحرام حاجّاً أو معتمراً أو زائراً، ويحرص على التعلّم والاستفادة، سواء بالسؤال أو القراءة أو حضور حلقات العلم والاستماع إلى العلماء..

انقدح سؤال في ذهن راشد، فلم يتردّد في سؤال أبيه:



- هل هناك مواضع أخرى يا أبي يتبرّك بها العوامّ غير هذه المواضع في المسجد الحرام؟

- نعم يا راشد، هناك جبل الرحمة في عرفات الذي وقف النبي ﷺ بسفحه في حجة الوداع وقال: «وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف»، (أخرجه أبو داود، وصححه الألباني، حديث رقم ١٩٣٦) ولم يصعد ولم يأمر أحداً بصعوده؛ ولكن كثيراً من الحجاج والزوار اليوم يظنون أن حجتهم وزيارتهم لا تتم إلا إذا قصدوا الجبل وشقّوا على أنفسهم بالصعود إليه وأداء ركعتين بأعلاه، وتمسّحوا بالعمود الأبيض المنصوب في أعلاه، وليس في ذلك شيء وارد عن النبي ﷺ، ومثله في ذلك غار حراء بأعلى جبل النور الذي يصعدون إليه ويتبركون بالصلاة فيه..

وهنا ارتفع صوت الأذان مهيباً جليلاً داخل أروقة المسجد الحرام، فأمسك أبو راشد عن الحديث وأخذ يردّد وراء المؤذن وهو يشير لابنه أن يفعل مثله، حتى إذا انتهى المؤذّن قال أبو راشد داعياً ورفع بالدعاء صوته كي يردّد ابنه من ورائه:

- اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً..

ثم قال أبو راشد:

- هذا الدعاء يُقال عقب الأذان مباشرة من قاله ودعا به حلّت له شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة!

قال راشد مبهوراً:

- كلمات يسيرة وفضل كبير يا أبي!

- صدقت يا راشد، وإنه لجدير بك أن تحفظه وتردده عقب كل أذان.

- سأفعل إن شاء الله.

وقام الاثنان يصلّيان من النوافل ما كُتب لهما قبل أن تقام الصلاة..



قد يقع المسلم في الشرك في أطهر بقعة على وجه الأرض، وهو يظن أنه إنما جاء هنا ليصفو له دينه وتوحيده وعقيدته..




في الظلمة
وحدي!

فجأة وجَدَت نفسها في ظلمة حالكة! لا ترى شيئاً ولا تسمع أحداً، ومن شدة الخوف والفزع شعرت أنها ليست قادرة على قول شيء أو إصدار صوت أو مناداة أحد، كأنما حُبِس لسانُها أو أطبقتْ شفتاها فما تنفرجان، وتجمَّدت من الرعب في مكانها فلا تتحرك.. لا تلتفت إلى شيء ولا تطرف لها عين.. وبقيت كذلك فترة لا تدري كم مدتها..

لقد خرجت في ذلك اليوم تتنزَّه مع أفراد أسرتها إلى منطقة برّية قريبة، ولم تكن تتوقّع أنها سوف تنفصل عنهم، وتنفرد بنفسها دونهم. اختاروا المكان الذي يجلسون فيه.. هيّأوه وفرشوه ووضعوا عليه ما معهم من متاع وأغراض بعدما أبعدوا عنه الأحجار وبقايا مخلفاتٍ تركها من سبقهم. قررت أن تبدأ فوراً في إعداد العشاء لأفراد الأسرة.. دعوها لأن تذهب معهم إلى دورات المياه القريبة.. قالت:

انقطعت الكهرباء فجأة وأظلمت المنطقة.. خافوا أن يبتعدوا عن مكان وجودها كلما أوغلوا في محاولاتهم.. توقّفوا عن البحث انتظاراً لعودة الكهرباء ولكن متى؟

- سأبقى هنا، المكان آمن على ما يبدو.. لن أترك الأغراض بلا حراسة..

تركوها ومضوا.. لن يتأخروا.. الدورات قريبة.. والطريق معروف.. سيعودون بعد قليل.. هكذا قدّروا.. ولكنهم لم يعودوا.. لم يستطيعوا أن يعودوا رغم محاولاتهم.. انقطعت الكهرباء فجأة وأظلمت المنطقة.. خافوا أن يبتعدوا عن مكان وجودها كلما أوغلوا في محاولاتهم.. توقّفوا عن البحث انتظاراً لعودة الكهرباء ولكن متى؟

ساورهم شيء من الخوف.. بدأ القلق عليها يسري إلى نفوسهم.. أخذ يشتّد أكثر فأكثر كلما طال انتظارهم.. شعروا أنهم مكبّلون بالعجز تماماً.. لا يستطيعون ترك السيارة وحدها في مكان مظلم كهذا، ويخشون إن خرج البعض للبحث عنها أن يضلّوا ويضيعوا.. فلا يجدونها ولا يهتدون طريق العودة إلى السيارة.. فيصبحوا متفرّقين في كلّ جهة..

فجأة وجدت نفسها تردِّد في داخلها بلا وعي: «أعوذ بولِّي الله (فلان) من شر هذا المكان»، تذكر اسم رجل صالح يتبرّك كبار السن في عائلتها بتناول سيرته وذكر فضائله وإحصاء مناقبه.. ثم انتبهت لنفسها وهي تتساءل في نفسها بيقظة ووعي:



الذي يعلم الغيب حقيقة هو الله، والذي يعلم ما أنا فيه الآن هو الله وحده لا أحد سواه، وهو القادر وحده على إنقاذي مما أنا فيه.

- أين هذا الرجل الصالح مما أنا فيه الآن؟ كيف يمكنه أن يساعدني وينقذني مهما كان صالحاً أو تقياً وهو لا يعلم الغيب؟ الذي يعلم الغيب حقيقة هو الله، والذي يعلم ما أنا فيه الآن هو الله وحده لا أحد سواه، وهو القادر وحده على إنقاذي مما أنا فيه، فلماذا أعوذ بغيره وأترك الاستعاذة به سبحانه؟ ألسنا نعوذ به حين نقرأ القرآن فنقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»؟ وهل يقدر على الشيطان الرجيم وكل صاحب شر لئيم إلا الله جل جلاله؟ اللهم غفرانك.. لجأت في محنتي إلى غيرك فيما لا يقدر عليه سواك، أعوذ بك اللهم من شر هذا المكان.. أعوذ بك اللهم من شر هذا المكان..

وصارت تردّدها باطمئنان وهي تستشعر في نفسها القوة والأمان.. ولم يمض قليل حتى عادت الكهرباء وأضاءت المنطقة من جديد، ورأت بالقرب منها سيارة تعرفها حق المعرفة.. تسرع إليها، وتخرج من نوافذها أياد تلوح لها بفرحة وسرور..

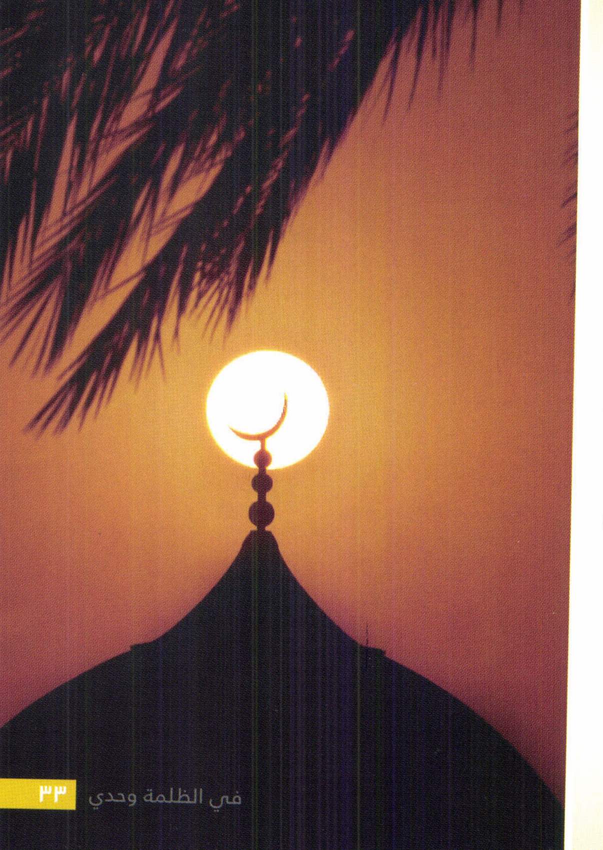
لجأت في محنتي
إلى غيرك فيما لا
يقدر عليه سواك،
أعوذ بك اللهم من
شر هذا المكان..
أعوذ بك اللهم من
شر هذا المكان..

بعد يومين من عودتها من تلك النزهة البرية أسرعت إلى قريب لها من محارمها تسأله بين الفنية والأخرى عما يشكل عليها من أمور دينها، فسألته هذه المرة عن حكم الاستعاذة بغير الله تعالى فقال لها:

- الاستعاذة عبادة، وصرفها لغير الله شرك، فمن استعاذ بغير الله فقد أشرك مهما كان المستعاذ به، ومهما بلغت درجة إحسانه وصلاحه وتقواه، لأن مؤمني الجن كما في القرآن الكريم قالوا: (ولن نشرك بربنا أحدا)، ثم ذكروا بعد ذلك على وجه الاستنكار: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا). وهذا واضح جلي فالاستعاذة بغير الله تورث الخوف والضعف كما نصت الآية، ويفهم منها كذلك أن الاستعاذة بالله تورث قوة وأمناً.

ثم قال لها ممازحاً وهو يناولها كوب العصير:

- ولكن لماذا هذا السؤال؟ هل خفتِ من شيء أو تعرضتِ لمكروه؟



أجابت بشيء من الخجل:

- كنت وحيدة خائفة في منطقة مظلمة قبل يومين، ووجدتُني بغير وعي أستعيذ بفلان ثم استغفرت الله وعدت أستعيذ بالله..

- الحمد لله.. ماذا كنتِ تقولين؟

- كنت أقول وأردّد: أعوذ بك اللهم من شر هذا المكان.

- ولو قلتِ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»؛ لكان أحسن.

قالت بشيء من الاستغراب:

- ما الفرق بينهما؟

قال مشيراً بأصبعه إلى كوب العصير: لم تشربي!

وأكمل: هذا الدعاء بهذا اللفظ الشرعي وارد عن النبي ﷺ في حديثه الذي يقول فيه: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك». (صحيح الجامع، حديث رقم ٥٢٤٢)

- ما المقصود بكلمات الله التامات؟

- أي الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب.

ثم أشار من جديد إلى كوب العصير وابتسم ابتسامة ذات مغزى وقال:

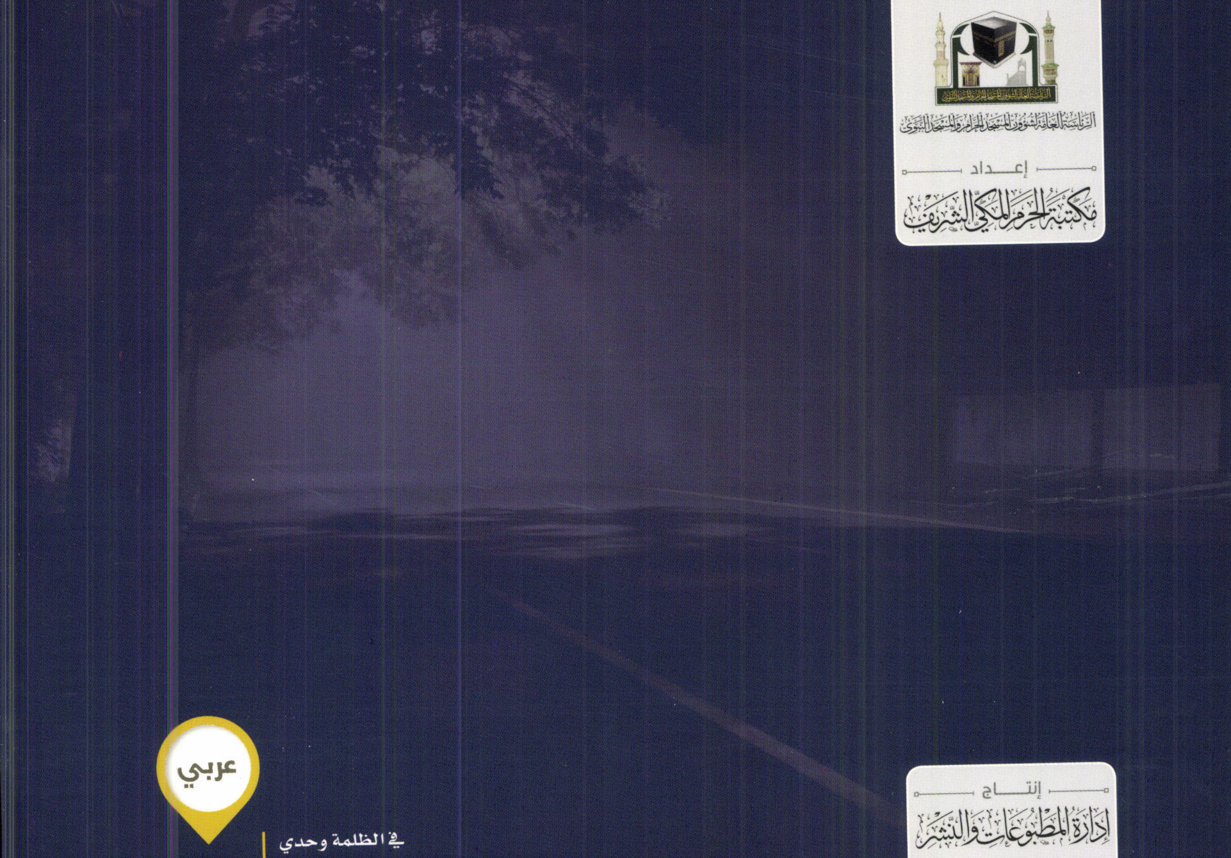
- انتهى الدرس ولم تشربي العصير.. سأستعيده منك..

بادرت تقول بمرح وهي تبعد كوب العصير عن متناول يده:

- لا يحقّ لك، العصير مكافأة درس اليوم!

وانطلقت بسمتان رقيقتان في آن..


تمت بحمد الله


الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
إعداد
مكتبة الحرم المكي الشريف
عربي
في الظلمة وحدي
إنتاج
إدارة المطبوعات والنشر